

الروائي مدعو لمقاومة العنف والكراهية

المصري ولاء كمال لـ «العرب»: كاتب الرواية ممثل محترف



العالم مخنن بالعنف، يومياً أحداث متتالية من القتل والإرهاب والتعنيف، وبينما يهرب كثيرون من هذا الواقع المرير فإن المبدعين يتصدون له، بالفهم والتحليل ثم المقاربات التي تهدف إلى مقاومته، فلا شيء يقاوم قبح العنف مثل جمال الإبداع. «العرب» كان لها هذا الحوار مع الروائي المصري ولاء كمال الذي اختار الرواية طريقاً لمقاومة العنف.

مصطفى عبيد
كاتب مصري

يعد القبح أذرعاً في الظلام، يصطاد خدمه ويوظفهم لنشر الشر رذاذاً من الخراب والفرع ويسد مسالك العمران، وهو ما يُثير مبدعين مهمومين بالشأن العام لرفع رايات المقاومة، وينتفض شعراء وروائيون وكتاب قصص للانخراط في مواجهة الإرهاب بإبداع فاحص، يطرح أسئلة ويفتح في الخلفيات لنقل صور حقيقية لدوافع الانخراط في فرق الموت الدينية.

الروائي المصري الشاب ولاء كمال، واحد من هؤلاء، حيث أصدر قبل أيام بالقاهرة رواية جديدة بعنوان «القداس الأخير» ليفتح من خلالها نوافذ البحث والتحرر والتساؤل عن سر تحول بشر مُحبين للحياة إلى أعداء لها. تتفرض الرواية في وجوه القتل، وتفحصهم بعناية، وتفكش في ملامحهم الشكلية والنفسية مُستقرئة دوافع الشر الجارف الذي يجرح فتاة أوروبية مُتحررة باحثة عن الحب إلى أن تصبح قنبلة بشرية تنشر موتاً وخراباً في بلادها وبين أهلها تحت وهم شراء الخلود والفوز بالجنة.

تساؤلات حائرة

غياب القصيدة المغناة
أضر بالأغنية العربية

اهمية موسيقى الشعر التي تعتمد على ركائز ثلاث هي الوزن والموسيقى والتالف، لافتاً إلى أن الكثيرين من المطربين المعاصرين لا يستطيعون أداء القصيدة الفصحى وإلى أن عمالقة الغناء تعلموا اللغة العربية والنحو مع أصول الموسيقى.

وقدم حمود الكثير من الشواهد على الشعر المغنى للقدماء كابي فراس الحمداني والدارمي وشعراء الأندلس وما غنى من قصائدهم إضافة إلى الشعراء المعاصرين مثل أحمد شوقي ونزار قباني وأحمد رامي وإبراهيم ناجي والأخطل الصغير وما غناه من قصائدهم كبار المطربين ولحنه عمالقة اللحن، مشيراً إلى أن الأغنية الفصحى الجيدة تصل مباشرة من المغني إلى المتلقي.

الباحث رسلان علي بين في مداخلة بعنوان «أضواء حول الشعر والأغنية» أهمية المضمون في القصيدة المغناة مع ضرورة الاقتداء بالكبار قديماً وحاضراً في كتابتها وأن تحمل مضمون الانتماء للأرض والتراث والقيم والشفافية. ويجب على الشعر المغنى وفق علي أن يحمل رسالة وقضية محكياً أو فصيحاً، مشيراً إلى أن الزجل جزء أساسي من موروثنا وذاكرتنا الشعبية، مستشهداً ببعض الأسماء اللامعة في هذا المضمار كفؤاد حيدر وعلي جمعة وسامر غزال وعبد الناصر حمد.

واستمع الحضور في الندوة لأغنية الأطلال للسيدة أم كلثوم عن قصيدة للشاعر إبراهيم ناجي والحنان الموسيقار رياض السنابلي بصوت المغني الشاب ماهر حمشو برفقة عازف الإيقاع غالي الرحمن ولأغنية «مضناك جفاه مرقد» من شعر أحمد شوقي والحنان الموسيقار محمد عبد الوهاب.

دمشق - لقد ساهم الشعراء في صناعة مجد الأغنية العربية منذ الموشحات وصولاً إلى القرن العشرين، والأغاني الخالدة التي كتبها شعراء من أمثال أحمد شوقي ويبرم التونسي وأحمد رامي ونزار قباني وغيرهم الكثير من الشعراء العرب الذين قدموا العديد من الأغاني التي مازالت إلى اليوم تنصدر ذاكرة المستمعين جيلاً فجيلاً.

تدهور الأغنية العربية
هذه الأيام نتيجة طبيعية
لعزوف المطربين عن
غناء الشعر الفصيح
والمحكي

لكن في السنوات الأخيرة تراجع دور الشعراء وخاصة من يكتبون قصائد الفصحى في الأغنية العربية، شأنهم شأن شعراء المحكية، وبالتالي تردت الكلمات والمضامين، وهو ما دفع إلى البحث حول الظاهرة.

وفي هذا الصدد تأتي ندوة «القصيدة المغناة: عراقة تجاليتها الإحبال» التي أقامها المركز الثقافي العربي بدمشق بالتعاون مع منتدى «شام والقلم»، بهدف الارتقاء بالغناء والذائقة العامة لجمهور الأغنية.

وتحدثت الإعلامية فاتن دعبول التي قدمت الندوة عما وصفته بتدهور الأغنية العربية هذه الأيام وعزوف المطربين عن غناء الشعر الفصيح والذي دفع ببقاء «شام والقلم» إلى تنظيم هذه الفعالية للبحث عن حلول مجددة لهذه الظاهرة. وأوضح الشاعر أسامة حمود في مداخلة

«المنكوس» يبدأ اختيار المشاركين في موسمه الجديد

التي تستبدل لجنة تحكيم برنامج المنكوس في موسمه الثاني لبدء تقييم الأعمال المشاركة من نجوم لحن المنكوس، وصولاً إلى إعلان الفائز بلقب «فارس المنكوس».

لجنة التحكيم ستختار أفضل المشاركات وتقيم لحن المنكوس عبر إجراء المقابلات عن بعد

يأتي إطلاق برنامج المنكوس في موسمه الثاني وفقاً للإجراءات والتدابير الاحترازية التي تضمن سلامة وصحة الجميع في ظل الظروف التي فرضتها جائحة كورونا، وضمن توجهات وأهداف لجنة المهرجانات والبرامج الثقافية والتراثية بآبوظبي، وحرصها على التعريف بالموروث الشعبي وتعزيز دوره في بناء الهوية الوطنية، إذ يعتبر المنكوس من الفنون الإماراتية والخليجية التراثية لغناء الشعر النبطي. ويهدف البرنامج إلى إعادة إحياء المنكوس ومد جسور التواصل بين الجيل القديم وجيل الشباب، والحفاظ على الموروث الإماراتي وتسجيله كمنصة ثقافية ثابتة ينطلق منها نحو العالمية، وتحقيق أكبر قدر ممكن من التواصل مع الجماهير الخليجية والعربية.

ويشير كمال إلى أن هناك مجتمعات تمثل بيئات خصبة لنمو التطرف وتمده مثل المجتمعات الأوروبية بكثرة مما تمثله المجتمعات العربية وما تحمله من تناقضات ومواطن خلل اجتماعي. وتقدم الرواية حكاية كاتب مصري عاش زمناً من حياته في أوروبا وأحب فنانة متحررة ومتفككة تدعى «ماري»، وتزوجها بعد أن أشبهت إسلامها وبيدت معتدلة وطبيعية، ثم اختلفا، وانفصلا، لتبدأ صراعا نفسياً شرساً تعادي فيه قيم مجتمعه وترفضها، وتعود إلى بلادها لتتزوج من متطرف ينتمي لداعش،



برنامج يسعى لحفظ التراث

الخيال يمنح الحكاية الحياة ويثير بداخلنا العواطف

حتى يكاد لا يفصل عنها، وهو لا يقوم بعمل ملفات للشخصيات وتاريخها وسماتها مثلما يفعل البعض من الروائيين، لكنه يترك الشخصية تترسب داخله على مدى شهور، وربما سنوات، ويستمع إلى صوتها، ويحس بمشاعرها، ويتابع أفعالها، ويعرفها تماماً كأنها داخله.

وهي، في رأيه، مسألة مرهقة جداً للكاتب، لكنها تمنحه قدرة استثنائية على عيش حيوات عديدة، فالعمل الروائي يستحق من كاتبه أن يشحن طاقاته ويوظفها جميعاً لصناعة جمال خلاق.

الشر لا يصنع في قلوب جاهزة، إنما هي مجموعة من المئات من العوامل والتفاصيل الصغيرة التي يمكن مواجعتها

ويبدو ولع الروائي بالأماكن والانتقال مثيراً للانتباه، كأنه يُكرس سنوات حياته التي تحمل مزيجاً من خلفيات جغرافية متنوعة، مشيراً إلى رغبته في تجهيل المكان، قدر الإمكان، وعدم ربطه بانطباعات مسبقة سعيًا وراء رسم عالم شديد الخصوصية والتفرد، تتمدد فيه مساحات الخيال مع ما يمنح القارئ قدرة على التفاعل والشعور بالحركة الدؤوبة للشخص داخل العمل الروائي. وتدفع الضرورة الدرامية الشخص لى لى الروائي للحركة، لكنها حركة مستمرة تعكس الانفصالات والصراعات التي تمر بها الشخصيات، فضلاً عن رغبتهم القلقة في العثور على إجابات كافية ووافية، والاستراحة من الهموم الوجودية التي يصرّون بها، كأنهم لا يجيدون الاستقرار ويبحثون عن إجابة. ويؤكد الروائي المصري، أنه مغرم بالتفاصيل البصرية والأجواء والروائح والأصوات والألوان ودرجة الحرارة، لأنها تفاصيل تساعد على نقل القارئ إلى داخل النص، والوقوف إلى جوار الشخصية الروائية كأنها أمامه، ويتصله من التوحد معها بشكل لحظي، وتصله الانفعالات الداخلية بشكل حقيقي.

صاروا لقمة سهلة لمسؤولي التجنيد في الجماعات الإرهابية للتحويل إلى رماح مضادة لبلدائهم.

ويكشف كمال في حوار، أنه حرص على معرفة الجوانب التي لا نراها دائماً كل شيء عن ذلك الانتحاري، وكيف يراه من كانوا جزءاً من حياته، وكيف تراه أسرته؛ وأصدقائه؛ ومن أحبه يوماً؛ هل سيرونه بنفس الصورة المجردة التي نراه نحن بها حين نطالع ما فعله في نشرة الأخبار؛ لذلك فالمرر يستحق الكثير من التعمق.

ويذكر «إنها ظاهرة لا تتوقف منذ عقود، ونحن كعرب مسلمين ندفع ثمنها كل يوم ولابد أن نحاول كمثقفين معتدلين أن نصل إلى مكنن القصة، حتى إن كنا سنكرهه ونفهم من أين أتى، ربما تكون هناك إجابة عن سبب ما قام به».

لكن ما الحل، وكيف المواجهة؟ يقول الروائي المصري، لـ «العرب»، إن الثقافة هي طريق المواجهة الأول، فهي سبيل التعايش، ومضاد الكراهية، فالمفهم بقودك تجاهل ميراث الكراهية المصدر والمقابل لصعود اليمين المتطرف في المجتمعات الغربية وتفشي العنصرية بشكل واضح في السنوات الأخيرة. ويضيف أن الأدب، والرواية تحديداً قادرة على نزع فتيل التوتر والكراهية قدر الإمكان، عبر الدعوة للفهم، ونبذ التعصب، ومحاولة استيعاب الاختلاف، فوجود إنسان عربي مثقف وصاحب وعي الحل الوحيد لمواجهة الظلام.

ويتساءل الروائي عما يمكنه تحمل عبء مثل هذه المهمة أفضل من الروائي والمتفكك كاشفاً أن الكتابة بالنسبة إليه احتياج وليست اختياراً، فهو يراها الوسيلة الوحيدة التي تجعله سوياً ومحتماً للتعامل مع الحياة. ويقول إنه يعيش الحكي، وفي تصوره فإن الكتابة هي التواصل الحقيقي مع الآخرين، الشعور بهم، محاورتهم، التوحد مع واجعهم، والبحث عن إجابات لتساؤلاتهم المحيرة.

تلبس الشخص

حول كيفية رسمه لشخصيات مركبة ومعقدة، يقول كمال «الروائي مثل الممثل المحترف الذي يتلبس الشخصية تماماً

يقنعها بتفجير نفسها في قداس بكنيستها التي نشأت وهي تتردد عليها، ما دفع الكاتب للبحث عما حدث لطليقته من تحولات نفسية لتصبح دموية.

ويذكر الروائي في حوار مع «العرب»، أن الإنسان ذاته يشهد من داخله كمية تناقضات رهيبية، فروايته تقوم في الأساس على ذلك المفهوم، وحكاية الرجل الذي حبس ابنته لأربع وعشرين عاماً، وهي قصة واقعية حدثت في أوروبا، وأوردتها في روايته، تشير إلى أنه كان يحب ابنته لدرجة خوفه

أن ترحل مع أي شخص تحبه، لقد كان هذا الإنسان مفعماً بالحب لدرجة الإقدام على ما لا يمكننا تخيله من بشاعات تقير أئمة الناس.

ويتابع «الشر لا يتم تصنيعه في قوالب جاهزة، إنما هي مجموعة من المئات من العوامل والتفاصيل الصغيرة التي تتكون على مر سنوات في حياة الشخص، وهي التي تدفعه في النهاية لأن يأتي بمثل هذا الفعل المشين».

الفهم طريق المواجهة

حول بحثه للوصول إلى قراءات واقعية لشخصية الإرهابيين من نوي الخلفيات الأوروبية، يقول كمال «صحيح أن الخيال يمنح الحكاية والشخصيات الحياة، ويثير بداخلنا العواطف القوية والترباط الإنساني الجميل الذي تحدثه الكتابة، لكن في الوقت ذاته أنا مغرم بالبحث، وعاشق لتنوع مصادر المعلومات».

وأضى الروائي المصري عاماً ونصف العام في كتابة الرواية، بعد أن قرأ العديد من الكتب والتحقيقات الصحافية التي تمت مع أوروبيات انضممن لداعش، وشاهد العشرات من الأفلام الوثائقية حول الجماعات الإرهابية، وكيفية تجنيد مواطنين يعيشون في أوروبا.

ويشير، إلى أنه كان من الواضح وجود شعور عام بالغين تجاه المجتمع القادم منه الإرهابي، رغم أنه مجتمع أوروبي، لذلك فإن هؤلاء

